منذ سنين أسافر بين مواقع المعاناة والألم الاسرائيلية والفلسطينية ولم ار معاناة كما في بيت غالية

هدى غالية تصرخ في الليل وتتذكر والدها.. لم يعد هناك كلام يقال.. الفقراء فقط يبتلعهم بحر غزة

■ كم من المآسي مرت على البنت هدى غالية في الاشهر الثلاثة الأخيرة. كانت طالبة في المدرسة الابتدائية في الثانية عشرة عاشت في حي بيت لاهيا، في بيت غير مقصور مع 12 أخا وأختا، أبناء أبيها علي، وأمها حميدة وزوجة الأب الاخرى، رئيسة. في يوم الجمعة في اول حزيران (يونيو) مضوا جميعا الى شاطىء البحر، نحوا من 15 شخصا، وعاد من هناك ثمانية فقط، جميعهم جرحى. في لحظة واحدة أصبح الشاطىء ميدان قتل. نُقشت هدى في ذاكرة المشاهدين في جميع العالم وهي تصرخ طالبة المساعدة بجانب جثة أبيها في أخدود القذيفة. الوحيدة التي خرجت جريحة جرحا طفيفا، نُقلت سريعا للعلاج في القاهرة مع أختيها الصغيرتين، وعمة بالغة ومرافق رفيع من قبل أبو مازن. صرخت في الليالي وكأنها ما تزال ترى القذيفة تسقط. نُقلنا جوا من القاهرة الى قصر حاكم أبو ظبي على ساحل الخليج العربي. إنها يتيمة بيت لاهيا، التي اشتهر اسمها بعيدا بسبب الكارثة الباهظة جدا، حتى بمفاهيم غزة المضروبة.

عندما جئنا في السبت الى بيت العائلة، انتظرنا ساعات الى أن جاءت في الثانية ظهرا حافلة صغيرة صفراء للمدرسة، وفيها صف كامل. حُشر فيها نحو من ثلاثين بنتا، تظهر من بينهن هدى باللباس الازرق والمنديل الابيض على رأسها. تخرج ويبتلعها بيت العائلة بصمت، بين النساء. تأتي بعدها حافلة اخرى صغيرة، يخرج منها أخ صغير في كرسي متحرك، وتأتي سيارة اسعاف مع الأخت الجريحة جرحا بليغا التي عادت من المستشفى الاسرائيلي. من بيت مجاور تأتي أيضا الأخت البكر، وهي أم لاثنين تعالج في سوروكا، قُطعت يدها ومُزق بطنها. هذه هي مسيرة بقايا بيت غالية. «عائلة ضائعة. مات النصف وبقي النصف بلا يد أو رجل أو بطن»، يقول العم ويرفع يده كأنما يغطي على الموتى وعلى المُهشمين ايضا.

بعد الكارثة ظهر رئيس الحكومة هنية والرئيس أبو مازن ووعدا بمساعدة عائلة غالية. ووعد وزير الدفاع بيرتس ايضا بالمساعدة. كانت تلك الايام قبل حرب لبنان، قبل أن تغيب غزة عن العين وعن القلب. هدى وأختاها الصغيرتان، التي يوجد في عنق كل واحدة منهما أو في جمجمتها شظية، طارتا من المستشفى في القاهرة الى أبو ظبي، وفحصهما اطباء فرنسيون، وبعد ذلك وصلتا قصر الحاكم نفسه. «قصر على البحر، حتى لو سافرت خمس ساعات فلن تبلغ الى نهايته. قال لهدى: كل ما أردت سأعطيك. قصرا، أو بيتا. كل شيء»، قالت لنا العمة مريم أم غسان، التي تسكن الشارع المجاور.

جلست هدى إلينا وتحدثت من غير أن تتنفس تقريبا. وكأنها اذا كفت عن الكلام ستسقط أو ستموت. أخت الأب القتيل ناجية من كارثة مشابهة، حدثت قبل نحو سنة ونصف من كارثة الشاطىء. في العائلة نفسها. في الرابع من كانون الثاني (يناير) 2005، حينما عملت مع أبنائها، وحفيدها وعدد من أبناء الأعمام في قطعة التوت التي عندهم – عائلة غالية تزرع التوت منذ أجيال – أصابتهم قذيفة اسرائيلية. قُتل سبعة في المكان. اربعة من أبنائها، وحفيد واثنان من أبناء العمومة. هُدمت عائلة بمرة واحدة، كما سيحدث لأخيها بعد مضي سنة ونصف سنة. في غرفة العزاء التي جلسنا فيها كانت معلقة على الجدار صور 14 من أبناء العائلة قُتلوا بالقذيفتين اللتين أُطلقتا ردا أعمى على اطلاق صواريخ قسام أعمى.

«قبل يومين من مقتل علي أخي، يقول: «كُفي، يا أختي، عن بكاء الموتى وعودي الى الحياة». رأى أنني احتفظت بملابس الاولاد الموتى. «لا تأكلي قلبك»، قال لي، «ولا تبكي بعد. أتركي الحزن. ذهب أولادك ولا يوجد ما نفعل». بعد يومين مضى بنفسه الى البحر ومات مع أبنائه»، قالت وابتسمت في حديثها، وكأنما جف تماما ينبوع الدموع والكارثة أكبر من الاستيعاب. 14 شخصا في عائلة واحدة.

أخذنا اثنان من أبناء العمومة الى شاطىء البحر في بيت لاهيا الى مكان الحدث. انه شاطىء فقراء. بحر نظيف، ورمال وسخة. قاربان، وشبكة لاصطياد العصافير مع الفجر. «من مات هنا؟ الفقراء فقط. يقضي الأغنياء عطلهم في الخارج»، قال ابن العم. في هذا المكان، في يوم الجمعة من هذا الصيف في التاسع من حزيران (يونيو)، جاءت العائلة كلها للاستحمام. انه قضاء وقت غزي ذائع من اجل محاربة الحر، والملل واليأس. لا يوجد شيء آخر يفعل. بعد الظهر أُطلق عدد من صواريخ القسام من بيت لاهيا، وبدأ اطلاق المدافع الاسرائيلية نحو المنطقة. كان كل شيء مليئا بالعائلات مثل شاطىء تل ابيب في يوم صيفي. القذيفة الاولى سقطت بعيدا عن المُستحمين، وبدأ جميعهم يهربون. من كان يملك سيارة استقلها وسافر الى البيت.

أبناء غالية، الذين لا يملكون سيارة، انتظروا سيارة أجرة وجلسوا في شبه دائرة على تلة صغيرة. أراني ابن العم المكان. بقيت هناك صنادل الهاربين. أصابت قذيفة ثانية مكانا أقرب، وضربت الثالثة في وسط العائلة. زعمت لجنة تحقيق من قبل الجيش الاسرائيلي أن اطلاق القذائف قُطع قبل زمن ما من الكارثة وقد تكون العائلة قُتلت من شحنة ناسفة محلية. جزم خبير امريكي يدعى مارك غارلاسكو، جيء به الى المكان أنهم قُتلوا بقذيفة مدفع من عيار 155ملم.

قال ابن العم لي إن رواية العائلة هي أن الطفل هيثم ابن الاربعة اشهر، الذي قُتل هو ايضا، استحم في البحر، ووجد لغما بحريا وجاء به الى العائلة التي لعبت به وقُتلت. هكذا سخر الشاب سخرية مُرة من جميع النظريات التي نشأت حول القتل. مع مجيئنا الى المكان رأينا أخدود القذيفة كما عاد وظهر في آلاف المواقع على الانترنت في غزة. انه أخدود بسيط نُثر الرمل منه على الجوانب. هناك قُتل سبعة: الأب والأم، ورضيع ورضيعة، وطفلة في الرابعة، وفتاة في الخامسة عشرة وفتاة جامعية في الرابعة والعشرين. أما الآخرون فهُشمت اعضاؤهم وأصابتهم الشظايا من مطر الحديد وانتهت عائلة غالية.

عدنا من الشاطىء الى البيت وجلسنا في الشارع بسبب الحر في الداخل، والظل والريح في الخارج. أرانا السائق منير لعبة في الهواتف المحمولة لشبكة جوال، كأنما ابتدعت من اجل الغزيين. عندما تضغط مرتين زر «سي» ومرة واحدة «سيند»، يضيء مصباح صغير في رأس جهاز النوكيا ويضيء بنور مركز. يوجد الكثير من الليالي المظلمة في غزة وانقطاع الكهرباء لساعات. قال منير انه يمشي من غرفة الى غرفة في الليل في البيت ويضيء باستعمال النوكيا. قال العم الذي انضم الينا انه يُحتاج في غزة دائما الى مصباح من اجل اليأس والظلمة. وفكرت في هذا البيت.

منذ سنين أسافر بين مواقع المعاناة والألم الاسرائيلية والفلسطينية، بين ضحايا ويتامى النزاع، لكن حصرا كهذا للألم كما في بيت غالية لم أرَ بعد. وكأن الله أراد أو الشيطان أن يُجمع في مكان ما هذا القدر الكبير من الحزن الى أن يقف المشاهد، وليكن من كان يهوديا أو عربيا، للحظة في خوف ليقول: الى متى والى أي مقدار من العمق سننزل في بئر الفساد هذا للحرب؟ في غرفة داخلية مظلمة ومكشوفة من الطوب والاسمنت، وهي مظلمة ايضا بسبب انقطاع الكهرباء، رأينا كمن ينظر داخل انفجار، بقية أبناء غالية.

«انتظروا. سأفحص، إمشوا ورائي»، قال لنا العم قبل أن ندخل. لأن الضيف لا يفترض أن يدخل بيتا تعيش فيه النساء. فُتح باب وأشارت يد بالمجيء. في ضوء شاحب كمرض، سقط من النافذة، رأينا الأخت هيام ابنة السادسة عشرة التي لا تقوم من السرير، والصغيرتين، لطيفة وهديل، بنتي الثامنة والتاسعة، اللتين بقيت شظايا في رأسيهما. الأخ ابن العاشرة أدهم الذي هُشمت رجله، والأخت الكبرى أماني، وهي أم لاثنين، قُطعت يداها، وكذلك الأخت المعروفة، يتيمة غزة الأشهر منهن جميعا، هدى غالية، التي بقيت في صدمة لكنها أسلم من جميع عائلتها. كان يبدو أن قذيفة المدفع قد أصابت البيت نفسه مباشرة.

بعد كل الأحاديث في الخارج، كانت الغرفة ساكنة على نحو عجيب، وكأنما سدها الألم. وكأن اصوات الخارج لم تدخل الى الداخل. قبر أحياء – أموات. وقفت امرأتان في الساحة وتحدثتا. تحدث عمان في غرفة مجاورة. لكن لم يتحدث أحد حول سرير البنت المُهشمة. توجد اماكن كهذه في البيوت التي تلقت ضربة قوية جدا. زاوية حول الأم الثكلى، وأب صامت. هكذا أحسست للحظات في بيت عائلة شاحر في ياد مردخاي المجاورة، حينما جئت الى هناك بعد سقوط الابن في لبنان، عندما تحدثت الى الأب الذي هو نفسه يتيم حرب التحرير. ضربة قوية جدا. «مافيش كلمات»، قال لي العم في غزة. نفد الكلام.

«يصعب علي أن أتحدث عما رأيت حولي»، قالت لنا هدى عن ذلك اليوم. «لن أنسى هذا أبدا. نظرت الى هذا الجانب والى ذاك الجانب، ورأيت حولي جميع عائلتي ميتة». هي وحدها تحدثت في الغرفة وكانت كلماتها معدودة. استحثها الأعمام على الكلام. نشعر أن جميع الاهتمام موجه اليها فقط، برغم أنها الأقل اصابة من الآخرين. «صوروا الآخرين ايضا»، غضبوا.

اقترح الأمير عليك قصرا وخادما وحياة مرفهة في أبو ظبي.

«أردت فقط العودة الى البيت الى عائلتي. وعدني بأن يرسل في كل صيف بطاقات لي وللجميع، لنقدم عليه في أبو ظبي طول العطلة».

تدرس في النهار العربية، والانكليزية والحساب، ولكن في الليل، ما تزال تصرخ وتنادي اباها في الحلم. كما كانت آنذاك على الشاطىء.

«لا توجد واحدة أصابتها كارثة كبيرة مثل كارثتك»، قال شيخ أبو ظبي لهدى، قالت لي العمة مريم. «نظر الأمير حامد، ابن الشيخ زايد الى البنت وقال: «هدى، أنا أبوك وأنا أخوك. أنا كل شيء في حياتك. لا تقلقي. كل ما ستطلبين ستحصلين عليه». تصف لي العمة الحديث وكأنما تقتبس من قصة الرغبات الثلاث للسمكة الذهبية وكيف يخسر الفقير دائما لحظة الفرصة الذهبية. «اذا أردت فسأبني لك هنا بيتا لم تحلمي به قط. لك ولعائلتك. سأسد جميع عوزك». لكن هدى أرادت فقط العودة الى بيتها. «أراد ألا نعود الى فلسطين، وأن نظل عنده»، تقول العمة البالغة. ربما خاب أملها. انها التي رأت في حياتها الفقر كله ووجدت نفسها فجأة في قلب الغنى. تبني بحديثها أسطورة عصرية عن الخراب وعن النهضة وعن الوعد بمستقبل براق. «لكن عدنا الى البيت»، تبتسم. عُدن الى الحي البائس، الذي يُقتل حتى حميره باطلاق النار. والذي توضع على كل سطح ثمرات يقطين ضخمة لا تصبح في الليل مراكب سندريلا. «وهنا، لم يساعدنا أحد. بين الجانبين، الاسرائيليين والفلسطينيين، فقدنا أبناءنا، ولا يمد أحد يده. من سيعالج، ويغسل ويقود جميع الجرحى؟».

مكثن 22 يوما في أبو ظبي وعدن مع قليل من المال لترميم البيت الذي لم ينته العمل فيه. في غزة بدأت هدى تمضي الى الصف الثامن في مدرسة أفضل وحصلت على ملابس ودفاتر. وهذا كل شيء. ضعفت الصدمة. لقد اطمأنت، لكن البيت يرتج في الليل من القذائف، والاولاد يتبولون خوفا ولا يوجد من يُبدل ثيابهم. الأم الأكبر من الاثنتين، حميدة، التي بقيت حية، جريحة في يدها. «كل من يسمع قصتنا يبكي»، قالت العمة «ولكن من ذا سيتذكرنا بعد سنة، وفي كل يوم تحدث كارثة اخرى؟».

رأيت من نافذة الغرفة الشارع وفيه ولد يعبر الشارع الرملي وكادت تصدمه سيارة. «شهداء صغار في الشارع»، قال السائق منير، «يجتازون الشارع كأنما يقولون «أُصدمني». لم يعد يهمهم شيء». «حرام. حرام. حرام»، كرر أحد الأعمام الكلمة. لقد ضاقوا ذرعا بحياتهم حتى لم يعد عندهم شيء من الأمل، سوى القصة عن الأمير والقصر الذي وعد به هدى.

هدى غالية تصرخ على شاطىء غزة بعد مقتل والدها وعدد من افراد عائلتها بقذائف الجيش الاسرائيلي في حزيران (يونيو) من هذا العام 2006

يغئال سيرينا
(يديعوت احرونوت) ـ 2006/9/18

دعوا عزمي بشارة.. ولا داعي لحظره بموجب القانون

على اسرائيل تشجيع النواب العرب للسفر الى دول «معادية» فقد يساعدون على تحقيق السلام

■ من الصعب جدا الدفاع عن عضو الكنيست عزمي بشارة الذي يمتدح من دمشق نجاحات حزب الله ويتحدث مع زعيم سورية بحرية يسمح له بها كونه اسرائيلياً، لكن ذلك كان سيكون ممنوعا عليه لو أنه كان مواطنا سورياً. الزيارات التي قام بها بشارة وعدد من اعضاء الكنيست العرب الآخرين في دول من التي تُعرف بأنها «دول معادية» مثل لبنان وسورية، وهؤلاء باتوا جزءا من الأقلية السياسية في اسرائيل، إن مثل هذه الزيارات ممنوعة تماما بموجب القانون الاسرائيلي، ولكن تجاوز القانون بالتحديد هو الذي يحولهم الى أكثر قوة وشعبية، ذلك لكونهم من أصحاب الردود المتطرفة ومن الذين يُسهمون في صنع الردود والمواقف الدعائية. لو أن اعضاء الكنيست هؤلاء أرادوا تحويل هذه الزيارات الى نوع من الجسور للربط بين اسرائيل والعرب، أو لدعم فكرة التعايش، فمن الصعب جدا أن تُقدم اسرائيل (كدولة) على اتهام هؤلاء أو محاكمتهم، أو على الأقل، لو أن زياراتهم تُسهم في دفع القضايا التي تخص الوسط العربي الذي يمثلونه في البرلمان لا الاثارة فقط، فربما أن تغيير القانون الذي يمنع لقاءات من هذا النوع لم يكن ليأتي مطلقا لو أن هذا الوضع لم يكن سائدا حتى الآن.

شهر واحد مر بعد انتهاء الحرب التي سقطت فيها الصواريخ فوق مناطق في الجليل العربي واليهودي. ومن الصعب جدا ما اذا كانت الكلمات التي تمتدح حزب الله وتشجب اسرائيل يمكنها أن تُسهم في تقديم عملية السلام والحديث بين شرائح المواطنين الذين يعيشون في شمال البلاد. لأن كلمات المديح لا تجلب إلا نوعا من التحدي في العلاقات العامة هناك، مثل رد الفعل الذي سيبرز هناك والذي يُستغل سريعا من قبل نواب في الكنيست من أمثال افيغدور ليبرمان وايفي ايتام. إن الجمهور يتوقع من نواب الكنيست جدية ومسؤولية أكثر، ولكن هذا التطلع يبدو أنه مبالغ فيه، والمساواة في الحقوق للمواطن العربي الاسرائيلي لن تتقدم من خلال مثل هذه الزيارات.

ومع ذلك، ورغم انهم تجاوزوا القانون، فلا توجد أي فائدة من توقيف هؤلاء ومحاكمتهم جراء زيارتهم لدمشق ولبنان. يبدو أنه كان من الأجدر أن تقوم السابقة باعادة القانون الى صيغته الاولى السابقة التي تسمح لكل عضو كنيست بحرية الحركة داخل الدولة وخارجها. ويبدو أنه لا ضرورة (في كل مرة) لأن تعاود الكنيست من جديد تفعيل هذه الصيغة من القانون الجنائي في أعقاب كل تلفظ من قبل نواب كنيست. ولا ضرورة لاستدعاء هؤلاء الى مراكز الشرطة للتحقيق معهم، هذه خسارة لوقت الشرطة الثمين. إن محاكمة نواب كنيست بسبب زيارتهم الى «دول معادية» مثلها مثل التصريحات التي تُذكرنا بالاعتقال «الفضائحي» لـ آبا ايبان بسبب اجتماعه مع عدد من رجال م.ت.ف، وملاحقة السياسيين الذين يتحدثون ضد النظام يجب أن تُترك لانظمة مثل نظام بشار الأسد في سورية.

في عام 2001 أوقف المستشار القانوني للحكومة، اليكيم روبنشتاين، عضو الكنيست عزمي بشارة للمحاكمة بسبب تصريحات التحريض التي صرح بها في أم الفحم وفي سورية. في ذلك الوقت ألغى اعتراض قُدم الى المحكمة العليا تلك الاجراءات. وفي أعقاب ذلك جرى تعديل للقانون بحيث يكون في الامكان «رغم ذلك» محاكمة النواب العرب مستقبلا اذا لم يتقدموا بطلب وتتم الموافقة عليه من قبل وزير الداخلية لاجراء مثل هذه الزيارات. من الجدير الملاحظة أن هذا لا علاقة له بكل النواب العرب، فنواب الكنيست من «حداش» مثل محمد بركة، ليس لهم أي دور في مثل هذه التحركات، ولا علاقة تربطهم بدمشق وبيروت، وهم يعملون في الأساس من اجل تقدم الوسط العربي الذي يمثلونه في اسرائيل.

يجب على اسرائيل أن تشجع سفر نواب الكنيست الى الدول المعادية، وذلك على أساس الاعتقاد بأن مثل هذه الاتصالات والعلاقات قد تؤدي في نهاية المطاف الى السلام. والحظر بموجب القانون لا داعي له.

افتتاحية/ اسرة التحرير
(هآرتس) ـ 2006/9/18

يجب التعامل معها حتى وان لم تلب الطموحات لان البديل عنها اسوأ

عدم اعتراف اسرائيل بحكومة الوحدة الوطنية سيؤدي لاستمرار الحصار وامتداد العنف

■ رغم حالة التوتر التي ظهرت في نهاية الاسبوع الماضي بين رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس وحركة حماس، فمن المعتقد انه خلال وقت ليس طويلاً ستتشكل حكومة الوحدة الوطنية التي تحدثوا عنها. لا توجد للفلسطينيين اية خيارات اخرى الا الاتفاق على تشكيل حكومة كهذه وذلك في محاولة لفك الحصار الاقتصادي والسياسي الذي فرضته دول العالم على حكومة حماس، وفعليا على السلطة بكاملها. فمنذ حوالي سبعة اشهر تقريبا وجميع موظفي السلطة والبالغ عددهم نحو 160 الف شخص والذين يعتاش من رواتبهم حوالي مليون شخص من الفلسطينيين لا يتلقون رواتبهم، لا جزئيا ولا كاملة. وان الاقتصاد الفلسطيني تحول منذ وقت طويل الى اقتصاد يعيش على التبرعات، وان الخدمات العامة، وعلى رأسها التعليم والصحة، التي سارت بعملها على نحو ما، اخذت تتدهور وتتراجع، وان الاضرابات منعت افتتاح السنة الدراسية في مناطق السلطة حتى الان.

ان البرنامج السياسي لحكومة الوحدة الوطنية لا يلبي جميع الشروط الثلاثة التي طولبت بها الحكومة الفلسطينية من قبل اللجنة الرباعية ومن المجتمع الدولي بصورة عامة. فهذه هي الحقيقة تماما. فالمطلب الاول، كان الاعتراف بدولة اسرائيل، وبدلا من ذلك ورد في مسودة صياغة برنامج حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية انها «تعترف بالواقع السياسي القائم في المنطقة». بل ان رئيس السلطة الوطنية، محمود عباس، أوضح ايضا هذا الاسبوع ذلك بقوله «ان هذا يعتبر اقراراً بالاعتراف الموضوعي باسرائيل». ووفقا للخطوط الاساسية لهذه الحكومة (والتي ترتكز في غالبيتها على وثيقة الاسرى الفلسطينية)، فان الحكومة (الوحدة) لا تلتزم كذلك بالشرط الثاني، والذي هو الاقرار بجميع الاتفاقيات الموقعة مع السلطة سابقا، وبدلا من ذلك جاء في هذه الخطوط، ان الحكومة (الوحدة) تقبل بالاتفاقيات التي تخدم المصالح الفلسطينية. بل، وحتى بالنسبة للمطلب الثالث، فان التوقف التام عن جميع اعمال العنف، فان الحكومة الفلسطينية الجديدة تؤكد بان المقاومة ستستمر في المناطق المحتلة، أي بمعنى أوضح في الضفة الغربية وشرقي القدس. ورغم كل ذلك، فان على الحكومة الاسرائيلية أن تعترف بهذه الحكومة (الفلسطينية) وان تبدأ باجراء المفاوضات السياسية معها وان تتقدم معها في العملية السياسية في المنطقة. ان السبب في تركيب هذه الحكومة، والتي ستقف حركة حماس في مركزها، وهو لا شك اثبات أكيد على أن مسيرة واجراءات وحالات جادة كثيرة تمر على الساحة الفلسطينية السياسية. وان حركة حماس، التي كانت في بدايتها الاعلان عن حرب الابادة ودون أي شرط ضد دولة اسرائيل لتسير في طريق التغيير. فالتغيير الاول تمثل في اشتراك حركة حماس في الانتخابات الفلسطينية التي جرت مؤخرا، بعد أن قاطعوا السلطة الوطنية على مدار سنوات وكانوا لا يعترفون بالانتخابات ولا بالبرلمان والحكومة التي قامت كلها على اساس اتفاقيات اوسلو، وبعد ذلك قررت حكومة حماس اجراء الاتصالات مع دولة اسرائيل حول الامور والمسائل الحياتية – اليومية والسماح لمنظمة التحرير الفلسطينية وللسيد عباس اجراء الاتصالات (المفاوضات) السياسية معها. وهذه الحكومة ـ ايضا ـ هي التي اوصلت ومن جديد الى نوع من وقف لاطلاق النار مع اسرائيل ولوقف اطلاق صواريخ الكاتيوشا على المواقع الاسرائيلية طالما ان اسرائيل لا تقوم بمهاجمة القطاع. والان، فانهم مستعدون للسماح لبقية الفصائل الفلسطينية الاخرى بالمشاركة معهم في تشكيل حكومة وحدة وطنية (هي في الحقيقة حكومتهم كما يعتقدون) وان يتنازلوا عن الغالبية الساحقة التي يتمتعون بها في مثل الحكومة الحالية، فور الاعلان عن تشكيل حكومة وحدة وطنية وبالاتفاقيات السابقة الموقعة.

ان الاتجاه ـ كما هو واضح هنا ـ يبدو جليا. ان الدول الاوروبية بدأت بالاعتراف بذلك، بل وتوجد بعض التلميحات، وبعض الاتجاهات السياسية التي تتحدث عن امكانية حدوث ذلك، وان هذه ستكون حالة التدهور في الضفة الغربية وقطاع غزة للفلسطينيين على اساس تشكيل هذه الحكومة الجديدة كما بدأت الانباء تتحدث عن ذلك. كما أنه على الحكومة الاسرائيلية ـ أيضا ان تندمج في هذه التطورات وان يكون لها نصيب فيها وان لا تبقى منفردة في موقفها، فلا توجد أي امكانية امام اسرائيل للتخلص والانعتاق من حماس. فهذه حركة فلسطينية اصولية تمكنت من الوصول الى السلطة والحكم بالاساليب الديمقراطية، وبتجديد اكثر وضوحا، وصلت الى السلطة بموافقتنا (اسرائيل). ووفق صلاحيات الرئيس الفلسطيني محمود عباس، وكما هو معروف ومفهوم ان يصدر تعليماته بحل حكومة حماس واصدار التعليمات بتشكيل حكومة فلسطينية جديدة تكون حكومة فنية (خبراء). ولكن الرئيس الفلسطيني عباس لم يفعل ذلك، لانه كان يعرف بان هذه الخطوة ربما تكون فيها نهايته. فهو لو اقدم على هذه الخطوط، فلربما فقد فيها البقية الباقية له من التأييد الشعبي بين اوساط الفلسطينيين وسوف يتهم بانه يفعل ما ترغب به وتريده اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية فقط. ان البديل الوحيد لعدم اعتراف اسرائيل بتشكيلة حكومة وحدة وطنية فلسطينية، هو الاستمرار ـ فقط ـ بابقاء حالة الضغط على الحكومة الفلسطينية الحالية (حكومة حماس) وعلى رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، محمود عباس بواسطة المقاطعة وفرض الحصار. وان ازدياد حالة التدهور في الضفة الغربية وقطاع غزة ستستمر، بل وان العنف سيزداد ويتسع. وبذلك، فلا يمكن لاي شيء جيد أن يتمخض عن ذلك.

داني روبنشتاين
(هآرتس) ـ 2006/9/18

فقد ثقة جنرالاته والجيش اصبح بلا روح

مواجهة جديدة مع حزب الله بقيادة دان حلوتس تعني الهزيمة

■ الحرب القادمة ستنشب بعد اسبوعين ونصف. لا يوجد أي انسان جدي يستطيع أن يفترض، بتأكيد تام، أن الأمر لن يكون كذلك. القانون في الشرق الاوسط، الذي يقول إن الحروب تنشب هنا مرة كل عقد، هو مثل سائر القوانين في المجال: ضعيف. من الممكن أن يشعر نصر الله بأن القوة السياسية في لبنان تُضيق عليه، ويقرر أن ما سينقذه جولة اخرى في مواجهة اسرائيل. وربما يحاول أحد في سورية اختطاف موقع عسكري في هضبة الجولان. لا يوجد أي يقين أن الاخوان المسلمين في مصر لن ينفذوا ثورتهم في الغد صباحا، وفي الاسبوع القادم يدخلون قوى في سيناء لتوحيد الجماهير حولهم. في منطقتنا الحرب القادمة هي الشيء اليقين، والهدوء المؤقت هو البحر الهادىء فقط الموجود تحت العاصفة.

قد تفاجىء الحرب القادمة دان حلوتس تماما كتلك التي خرج منها. قال هو نفسه انه لم يدرك أننا في حرب حتى اليوم الثالث من انفجار الصواريخ البركاني. ولما كان حلوتس هو أول من يعرف أن الحروب قد تسقط على رؤوسنا من غير إنذار سابق، فهو ايضا اول من يجب عليه أن يستنتج الاستنتاج الاول الملح من تقدير الوضع هذا. لا يستطيع دان حلوتس قيادة هذا الجيش الى الحرب.

قد يكون رئيس اركان لامعا. وقد يكون ايضا الراعي الأنجح لقطيع شياه سلاح المدرعات والمشاة. ويجوز ايضا أن نأمل أن لجنة التحقيق الحكومية / الرسمية ستجد أنه يستحق جائزة اسرائيل وتوفير الأمة على امتداد أجيالها. قد يكون ذلك، ولكن الآن، في الحرب التي قد تنشب غدا صباحا، لا يملك الجيش أي ثقة برئيس الاركان هذا.

لا يوجد قائد يستطيع قيادة الناس الى معركة بغير ثقتهم التامة. ليس مهما، في الحقيقة، كم يملك من الذخيرة ومن معسكرات الاحتياط. ولا يهم اذا كان ضابط مستودعات لم يعرف كيف يوصل الطعام الى لواء أو اثنين في الميدان. هذه اشياء تافهة. مُركب القوة الأهم في كل جيش هو الروح المعنوية للجنود، وهذه الروح المعنوية تُبنى قبل كل شيء على ثقتهم بالقائد.

هذه هي نظرية الحرب كلها. لا تُغير ألف شاشة بلازما هذه الحقيقة. لا يوجد قائد كبير واحد لم يدرك هذا. داود الملك العبراني، وهنيبعل من قرطاجة، ويوليوس قيصر الروماني، وسون تيسو الصيني، وجنكيز خان المنغولي، ونابليون الفرنسي، وباتون الامريكي، واريك شارون الاسرائيلي، عرفوا جميعا أن الجندي لا يحارب من اجل الوطن أو الفكرة، بل من اجل الرفاق في السرية، والقائد الذي يقودهم الى المعركة.

ولا يستطيع حلوتس اليوم أن يقود الجيش الاسرائيلي الى الحرب. ومن غير أن نتخوف ايضا من أنه هو خاصة سيحاول أن يبرهن للجميع على أنه قائد عظيم، ويبحث بقوة عن الجولة القادمة، مثل مدير عام فشل في صفقة ويسارع الى العملية الكبيرة القادمة، التي تُنسي الجميع الفشل. حلوتس، مثل تشرتشل الذي ترك فورا منصب وزير القوات البحرية بعد أن فشل في معركة غاليبولي في الحرب العالمية الاولى، يجب عليه أن ينزل من فوره عن جسر القيادة. هذه قضية وجودية.

اذا دُفع الجيش الى حرب اخرى في المستقبل القريب، وقاده حلوتس، فاننا متجهون الى فشل. الجيش بلا روح معنوية هو جيش خاسر، والجيش الذي لا يثق بقائده الأعلى لن يُجند لنفسه البتة مستودعات روحه المعنوية من أي مكان آخر. حلوتس يعرف الطيران. عليه الآن أن يتعلم كيف يطير.

يونتان شيم ـ أور
(معاريف) ـ 2006/9/18

ضغوط اسرائيل اجبرت حماس على حكومة وحدة والضغط الشديد عليها سيثير حالة من العنف والدمار

■ تشهد هذه الايام سباقا مثيرا بين اجهزة الاستخبارات: من الذي يمد المستوى السياسي بعدد اكبر (من غيره) من الثقوب الموجودة في الاتفاق الفلسطيني لتشكيل حكومة الوحدة. أي مختص ينجح قبل غيره في البرهنة على أن الخطوط الاساسية لهذه الحكومة لا تتضمن اعتراف حماس بدولة اسرائيل. وكل ذلك يأتي من اجل تعبئة مخازن الطوارىء عند السياسيين بالذخيرة الحديثة للتصدي للمكيدة السياسية الخطيرة التي يعدها لها الجيران. ما ينقصنا فقط هو أن يجد الاوروبيون المثيرون للمشاكل ناهيك عن اصدقائنا الامريكيين في هذه الوثيقة تغيرا ايجابيا في الموقف منا.

لا شك ان الخطوط الاساسية هي حاجة اساسية لا يوجد لها مثيل من حيث الاهمية. خذوا مثلا الخطوط الاساسية لحكومة كديما – العمل – شاس التي وقعت قبل العبارات التالية قبل أربعة اشهر فقط: «الحكومة تتطلع الى ترسيم حدود دائمة للدولة باعتبارها دولة يهودية مع أغلبية يهودية ودولة ديمقراطية. هي ستعمل على تحقيق ذلك من خلال المفاوضات مع الفلسطينيين التي ستجري على اساس الاعتراف المتبادل والاتفاقيات الموقعة ومبادىء خريطة الطريق ووقف العنف ونزع سلاح الفصائل الارهابية». كما جاء هناك بانه ان «لم يتصرف الفلسطينيون على النحو الذي ذكر في المدة القريبة فان الحكومة ستتحرك في غياب المفاوضات ايضا» على اساس الاجتماع الوطني الواسع في اسرائيل والتفاهم المعمق مع اصدقاء اسرائيل في العالم وعلى رأسهم الولايات المتحدة.. اراضي اسرائيل التي ستقوم الحكومة بترسيم حدودها ستلزم بتقليص مساحات الاستيطان الاسرائيلي في الضفة الغربية أما في الفصل الاقتصادي ـ الاجتماعي فقد التزمت القيادة الجديدة بالتحرك من اجل تقليص الميزانية الامنية بدءا من السنة المالية القادمة 2007 وما بعدها. هجومان اسلاميان كانا كافيين ـ واحد في الشمال وآخر في الجنوب ـ لتحويل هذه الخطوط الاساسية الى أوراق بلا قيمة. «ترسيم حدود الدولة الدائمة كدولة يهودية» من خلال المفاوضات مع الفلسطينيين كانت وما زالت مجموعة من الحروف الميتة. خطة الانطواء احادية الجانب توفيت هي الاخرى رسميا منذ زمن. والقنصل السياسي في برنامج الحكومة السابقة الذي استهل بتصريح هام يقول «الحكومة تعتقد بان المفاوضات المباشرة هي الطريق الصحيح لترسيخ علاقات الثقة بين الجانبين ودفع السلام للامام».

الصحيح هو ان الواقع أقوى من كل برنامج سياسي. وكذلك الواقع في غزة والضفة. الضائقة الاقتصادية الصعبة التي تترجم الى خيبة أمل من الحكم تجبر حماس على ابتلاع السياسة التي اعتبرت بالنسبة لها في السابق مثل أكل لحم الخنزير في رمضان. على سبيل المثال ذكر قرار الجامعة العربية في اذار (مارس) 2002 الذي يتحدث عن تطبيع العلاقات مع اسرائيل وحل «متفق عليه» لقضية اللاجئين (مع اسرائيل حسب محمود عباس).

من هنا لا يكمن اختبار ومحك حكومة الوحدة الفلسطينية في ما تطمح اليه حكومة الوحدة الاسرائيلية. ولا توقعات الاسرة الدولية ايضا. احتمالية اختفاء قادة حماس المنتخبين من على وجه الارض محتمل فقط مثل احتمالية اعترافها باسرائيل كدولة يهودية مع القليل من الضغط ـ البند غير القائم ايضا في الاتفاقيات مع م.ت.ف. السؤال الاول في الاختبار يجب أن يكون اذن درجة تحسين المواقع الجديدة بالمقارنة مع المواقع السابقة لحركة حماس والسؤال الثاني يجب أن يتحقق من الفجوة بين حماس الداخل وحماس الخارج. السؤال الثالث هو ان كان البديل ـ تكريس الجمود السياسي وتعزيز حالة الفوضى في المناطق ـ يخدم مصالحنا بصورة اكبر.

الحقيقة هي أن هذا البديل قد يؤدي فقط الى تدهور الوضع. الضغوط الاسرائيلية والدولية أخضعت اسماعيل هنية ورفاقه وشقت الطريق أمام حكومة الوحدة الفلسطينية. المزيد من الضغط الذي تجاوز هامش مرونتهم المتاح قد يكسر ظهرهم ويخلي الطريق لاتحاد قومي ـ ديني متطرف. المهم هو ان نتمكن من القول للعالم دائما – اسود على ظهر الخطوط الاساسية للحكومة – باننا لا نملك شريكا في الطرف الاخر والحمد الله.

عكيفا الدار
(هآرتس) ـ 2006/9/18

الحرب الأخيرة تسببت في انتشار معتقدات شائعة خاطئة كثيرة وحان الوقت لتصحيحها

■ تشهد هذه الايام سباقا مثيرا بين اجهزة الاستخبارات: من الذي يمد المستوى السياسي بعدد اكبر (من غيره) من الثقوب الموجودة في الاتفاق الفلسطيني لتشكيل حكومة الوحدة. أي مختص ينجح قبل غيره في البرهنة على أن الخطوط الاساسية لهذه الحكومة لا تتضمن اعتراف حماس بدولة اسرائيل. وكل ذلك يأتي من اجل تعبئة مخازن الطوارىء عند السياسيين بالذخيرة الحديثة للتصدي للمكيدة السياسية الخطيرة التي يعدها لها الجيران. ما ينقصنا فقط هو أن يجد الاوروبيون المثيرون للمشاكل ناهيك عن اصدقائنا الامريكيين في هذه الوثيقة تغيرا ايجابيا في الموقف منا.

لا شك ان الخطوط الاساسية هي حاجة اساسية لا يوجد لها مثيل من حيث الاهم